دراسة عن الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة

Oleh: A. Ghazali Salim
(*Dosen Tetap Prodi Pendidikan Bahasa Arab STAIN Pamekasan*)

Abstrak:
Mu'jizat para Nabi senantiasa sesuai dengan jenis keahlian kaum di mana mereka berdakwah. Nabi Musa hidup di kalangan komunitas yang punya perhatian besar terhadap ilmu sihir. Dengan mu'jizat tongkatnya, dakwah beliau menjadi efektif dan juga dengan mu'jizat ihya' almauta (menghidupkan orang mati) Nabi Isa as. senantiasa sesuai dengan keahlian kaum beliau dalam ilmu tabib di kala itu. Demikian pula halnya balaghah yang tak terpisahkan dari kehidupan intelektual bangsa Arab. Kemu'jizatan al-Quran pun sesuai dengan keahlian dan kebanggaan mereka yaitu al-Balaghah, dengan harapan bangsa Arab dapat membuka hatinya atas kehadiran kitab suci ini di tengah-tengah mereka. Tulisan ini mengupas kemu'jizatan balaghiyah surat Al-Fatihah dari sisi sistematika (manthiqiyatul uslub)-nya, cakupan konten (syumuliyatul madhmun)-nya, dan gaya bahasa serta dilalah siyaqnya dan sebelum pembahasan poin-poin tersebut, penulis membahas tentang nama al-Fatihah dan keutamaan surat tersebut.

Kata Kunci:
سورة الفاتحة – الإعجاز البلاغي – منطقية الأسلوب – الدلالة السياقية

مقدمة

إن من السنن الإلهية على الرسل أن تكون معجزاتهم مطابقة لما برع فيه قومهم فكانت معجزة موسى عليه السلام وهي العصى مطابقة لما برع فيه قومه وهو علم السحر كما كانت معجزة عيسى عليه السلام (إحياء الموتي وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله) مطابقة لما برع فيه قومه وهوعلم الطب. فلما تميزت العرب عن غيرهم من الأمم بالبلاغة المنطبعة في نفوسهم جاءت أكبر معجزات رسول الله ﷺ وهي القرآن الكريم موافقة ومطابقة لما برعت فيه العرب وهو البلاغة، إذن فلا غرابة إذا اشتمل هذا الكتاب المقدس على وجوه البلاغة العربية وملامحها وخصائصها. فيطيب للكاتب في هذه المقالة أن يتعرض بدراسة سورة الفاتحة المتميزة بإعجازها البلاغي مما أدى إلى ورود ثناء من ربنا سبحانه وتعالى عليها حيث وصفها بالسبع المثاني [1]، فالمسلم يقرؤها مرارا وتكرارا طوال حياته نهارها

[1] .قال تعالى: " ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم "، الحجر : 87

وليلها سبع عشرة مرة بدون أي ملل وبها يطمئن قلبه وسكن شعوره، كما ورد مدحها على لسان نبينا الكريم سيدنا مُحَمَّد ﷺ فوصفها بأنها أعظم سورة في القرآن [٢]. ولا شك أن هذه المزية لن تتحقق لدى هذه السورة إلا بسبب اشتمالها على وجوه الإعجاز البلاغي مما جعلها متميزة عما سواها من سور القرآن الكريم. ومن هنا ينجذب الكاتب أن يكتب في هذا الموضوع .

تسمية سورة الفاتحة وفضلها

سميت هذه السورة بأسماء عديدة ووردت تلك الأسماء من لسان الشارع ، وفيما يلي سرد بعض هذه الأسماء مع بيان وجوه تسميتها بها :

أولا. فاتحة الكتاب

فأما تسميتها بـ "فاتحة الكتاب" فقد ثبتت في السنة النبوية الشريفة ووردت فيها أحاديث كثيرة منها قول النبي ﷺ : " لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ متفق عليه" [٣]. لأنه بها تستفتح القراءة في الصلوات ,وبها افتتح الصحابة كتابة المصحف الإمام[٤].

ومعنى فتحها الكتاب أنها جُعلت أول القرآن لمن أراد أن يقرأ القرآن من أوله, فتكون فاتحة بالجعل النبوي في ترتيب السور.

ثانيا. أم الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني والقرآن العظيم

قال الإمام البخاري في الجامع الصحيح في أول كتاب التفسير :" سمِّيت أمَّ الكتاب لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة ". وقيل إنما سمِّيت بذلك لرجوع معاني القرآن كله إلى ما تضمنته[٥] .

ووجه تسميتها بـ"أم القرآن" أن الأم يطلق على أصل الشيء ومنشئه, وورد بعض الأحاديث في هذه التسمية ، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمُّ القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم"[٦]. وأما تسميتها

---

[٢].. قال رسول الله " لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ..... الحديث " انظر: صحيح البخاري ٤ /١٩١٣ ، رقم الحديث ٤٧٢٠ ، كتاب فضائل القرآن ,باب فضل فاتحة الكتاب .

[٣].انظر صحيح البخاري ١ / ٢٦٣، رقم الحديث ٧٢٣،كتاب صفة الصلاة ٣٢٢، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، وصحيح مسلم ٤ / ٣٢٢، رقم الحديث ٨٧٢ ،كتاب الصلاة ,باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة .

[٤]. صالح بن مُحَمَّد آل أبوبكر الزهراني الدكتور ، مجلة الدراسات القرآنية، العدد الرابع السنة الثانية " **أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة** " http://jqrs.qurancomplex.gov.sa/?p=274، ص: 120

[٥]. انظر: صحيح البخاري كتاب التفسير ٤/ ١٦٢٣

[٦]. انظر: صحيح البخاري ٤/ ١٧٣٨ رقم الحديث ٤٤٢٧، وانظر سنن الترمذي ٥/١٤٣ في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب

بالسبع المثاني فلأنها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة[٧].

وأما فضل سورة الفاتحة فقد وردت عدة أحاديث فيه ، منها : الحديث المروي عن عبد الله بن جابر، قال[٨] : " انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ,وقد أهراق الماء فقلت : السلام عليك يارسول الله فلم يرد عليَّ فقلت : السلام عليك يارسول الله فلم يرد عليَّ قال : فقلت : السلام عليك يارسول الله فلم يرد عليَّ قال : فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي وأنا خلفه حتى دخل رحله ودخلت أنا المسجد فجلست كئيبا حزينا فخرج عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تطهر فقال : عليك السلام ورحمة الله وبركاته وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وعليك السلام ورحمة الله ثم قال : ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بخير سورة في القرآن ؟ قلت : بلى يا رسول الله قال : اقرأ الحمد لله رب العالمين ..... حتى تختمها ".

الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة

الإعجاز مصدر أعجز بمعنى أنه ليس من قدرة المخلوقين الإتيان بمثل القرآن فقد أعلن الحق سبحانه لهم تحديه بأن يأتوا بمثل القرآن الكريم، بل أنه تعالى تحداهم بأن يأتوا بما يماثل عشر آيات منه ثم تحداهم في النهاية بما يعادل أقصر سورة من سور القرآن وهي سورة الكوثر المشتملة على ثلاث آيٍ فقط. وبالحقيقة أن هذا التحدي غرضه التعجيز أي أنهم لن يقدروا على ذلك ولو كانوا متعاونين فيما بينهم بدليل قوله تعالى "ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" [٩]، فمن باب أولى أن لا يقدروا على إتيان ما يعادل سورة الفاتحة فهي أطول من سورة الكوثر . قد يخطر ببال أحد سؤال : ما الذي جعل المخلوقين غير قادرين على ذلك ؟ فالجواب على مثل هذا السؤال أن هناك وجوها كثيرة من الإعجاز جعلت القرآن الكريم معجزة ، وليس في مستوى البشر أن يأتوا بمثله . ومن تلك الوجوه إعجازه البلاغي .

وتتركز الدراسة في هذه المقالة علىالملامح البلاغية في سورة الفاتحة التي لها دور في إعجازهذه السورة الكريمة، وهي كالتالي :

أولا. منطقية الأسلوب

نجد أن الأفكار والمضامين التي اشتملت عليها سورة الفاتحة مرتبة ترتيبا منطقيا ومنسقة تنسيقا عقليا ، فمعانيها متناسبة ومتقابلة وبعضها مبتنٍ على بعض ومتعلق به أوثق وأشد أنواع التعلق؛ فمعانينا متماسكة فيما بينها فكل منها يتماسك بما بعده وما قبله دالّ عليه، أو مستدلّ عليه به، وفيما يلي توضيح ذلك :

---

٧. المرجع السابق، صالح بن مُحَّد آل أبوبكر الزهراني الدكتور " **أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة** "، ص: 121

٨. مسند أحمد ١٨٩/٥، رقم الحديث ١٧١٤٤، حديث عبد الله بن جابر رضي الله تعالى عنه، وانظر المرجع السابق صالح بن مُحَّد آل أبوبكر الزهراني الدكتور، ص : 123

٩. الإسراء : 88

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله

ابتدأت هذه السورة بعد البسملة بـ" الحمد " لأنه أنسب ما يبتدأ به فليس هناك كلام أصدق ولا أعظم ولا أشمل ولا أنسب في مثل هذا المقام (مقام افتتاح كتاب الله) من قول: "الحمد لله"؛ فالحمد إذا انفرد عن الأذكار الأخرى شمل كل معانيها؛ فمثلاً إذا اجتمع التسبيح والتحميد والتوحيد والتكبير فثم تدرج[١٠] :

فالتسبيح: تنزيه عن النقص وعن كل ما لا يليق بالله تبارك وتعالى؛

والتحميد: إثبات لصفات الكمال المطلق؛

والتوحيد: فيه توكيد لتنزيهه عن النقص وإثبات لتفرده بصفات الكمال المطلق بحيث يستحق أن يعبد وحده، بل كل ما سواه يجب أن يخضع له ويعبده لأنه ناقص عن منزلته [i]محتاج إلى تدبيره ومعونته بل هو الذي أوجده؛

والتكبير : إقرار من العبد بأنه مهما عظم الله وكبره وأثنى عليه فالله أكبر من ذلك؛ فلا يعلم عظمة الله على الحقيقة إلا هو تبارك وتعالى.

وقد يسأل سائل : لِمَ لم تفتح هذه السورة بالتكبير مع أن التكبير هو الأعلى رتبة ؟ أجيب بإن العلو المذكور مقيد بالاجتماع مع الأذكار الأخرى؛ وأما عند الانفراد فالتحميد هو الأكمل الأشمل لأن الحمد هو إثبات صفات الكمال المطلق ومنها الوحدانية في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات؛ ومن الكمال المطلق انتفاء النقص وهو معنى التسبيح؛ ومن مقتضى إثبات الكمال المطلق ثبوت صفات عظمة وكمال أكبر مما تدركه عقول البشر، وهو معنى التكبير[١١] .

رب العالمين

هنا ترتيب منطقي عقلي رائع فإن " الحمد لله " أي التفرد بالحمد المطلق هو مقتضى ما بعده وهو"رب العالمين" الذي ينبني عليه هذا التفرد وهو ما يبين مصير العالمين؛ وأن ما هو واقع منهم من خير وظلم لا بد من المجازاة عليه، لأنه ليس من المعقول أن يخلقهم سدى ربهم الذي له الحمد أي المتصف بصفات الكمال، فإن الكمال ينفي ذلك، وينفي وقوع ما نشاهده من تظالم بين المخلوقات من غير أن يكون قصاص في يوم من الأيام.

وفي ذكر الربوبية (رب العالمين) ما يثير خوف العبد وفي ذكر الرحمة ما يثير رجاءه؛ وكلاهما أي الربوبية والرحمة يؤديان إلى الحب؛ فهو محبوب لكماله وأنه رب العالمين، ومحبوب لرحمته فالقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها[١٢] .

الرحمن الرحيم

---

[١٠].مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر "**التفسير الوسيط** " ، مطبعة المصحف الشريف1992، 1/ 20

[١١]. نفس المرجع

[١٢]. المرجع السابق ، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر "**التفسير الوسيط**"، 1 / 21

فإذا توحي كلمة "رب العالمين" بالكبرياء والجبروت فتربي في النفوس الإنسانية المهابة جاءت بعدها كلمة "الرحمن الرحيم" التي توحى بالرأفة والشفقة فتربي في النفوس الأمل فينبسط أمل العفو في نفسه إن زل؛ وكل من العبارتين تقوي عند المرء شدة الحاجة إلى سؤاله لأنه على كل شيء قدير وبيده كل شيء وهو رحيم؛ وكلاهما أيضاً تؤديان إلى الخوف كما تؤديان إلى الرجاء؛ فيخاف العبد أن يهلكه ربه كما يخاف أن لا يرحمه. ففي قوله "الرحمن الرحيم" ترغيب جاء متوسطاً بين ترهيبين، وهما كونه رب العالمين وكونه مالك يوم الدين فنواصيهم في قبضته ومصيرهم إليه[١٣].

والسر في تقديم الرحمن على الرحيم لأن (الرحمن) هي الصفة الدالة على اتصاف الله الذاتي وأما (الرحيم) فهي الصفة التي تدل على كثرة متعلقات رحمته تعالى على خلقه فتقديم الصفة الدالة على الاتصاف الذاتي أولى بالذكر من الصفة الدالة على كثرة متعلقاتها[١٤].

مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

ولما اتصف تعالى بالرحمة على خلقه (الرحمن الرحيم) انبسط العبد وغلب عليه الرجاء، فنبه بقوله: " مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ " الذي يدل على إثبات المعاد والحشر والحساب والميزان والنعمة والعذاب، حيث وصف الله نفسه بأنه ملك تلك الأمور فيشعر العبد بالوجل على جميع ما عمل، وأن لعمله يوما تظهر له فيه ثمرته إن خيرا فخير وإن شرا فشر .ففي ذكر هذه الأسماء (رب العالمين— مالك يوم الدين) بعد الحمد وإيقاع الحمد على مضمونها ومقتضاها ما يدل على أنه محمود في إلهيته محمود في ربوبيته محمود في رحمانيته محمود في ملكه وأنه إله محمود ورب محمود ورحمان محمود وملك محمود فله بذلك جميع صفات الكمال – كمال من هذا الاسم بمفرده وكمال من الآخر بمفرده وكمال من اقتران أحدهما بالآخر[١٥].

مثال ذلك قوله تعالى: "والله غني حميد[١٦] –والله عليم حكيم[١٧]— إن الله عليم قدير[١٨]– والله غفور رحيم" فالغنى صفة كمال والحمد صفة كمال واقتران غناه بحمده كمال أيضاً. وفي قوله تعالى : "مالك يوم الدين" بعد ذكر كونه رباً للعالمين بيان لكونه تعالى ليس رباً للعالمين في الدنيا فقط بل هو ربهم في الدنيا والآخرة . فالعلاقة الرابطة بينهما (رب العالمين — مالك يوم الدين) علاقة عموم وخصوص[١٩].

إياك نعبد وإياك نستعين

---

١٣. نفس المرجع

١٤. صالح بن محمد آل أبوبكر الزهراني الدكتور – مجلة الدراسات القرآنية – العدد الرابع السنة الثانية " **أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة** "
http://jqrs.qurancomplex.gov.sa/?p=274،
ص : 151

١٥. نفس المرجع

١٦. إبراهيم : 8

١٧. يوسف : 100

١٨. النحل : 70

١٩. التوبة : 91

وبعد أن ذكر تعالى ملكه يوم الجزاء (ملك يوم الدين) استمر مباشرة إلى ذكر العبادة (إياك نعبد) فناسب بين الملك والربوبية، ثم واصلها بالرحمة فإنه المستعان (وإياك نستعين)، وهنا جمع وترتيب منطقي رائع في غاية الفصاحة والبلاغة حيث جمع تعالى بين العبادة والاستعانة فإن العبادة لا تحصل إلا بالعون؛ وقدم الإقرار باستحقاق العبودية لله وحده على الدعاء بطلب العون، وهذا من باب تقديم الوسائل على المسائل[٢٠]؛ وتقديم الإقرار باستحقاق العبودية لله وحده على الدعاء بالعون في قو **له** " إياك نعبد وإياك نستعين" من باب تقديم الوسيلة على الحاجة، فتقديم العبادة على الاستعانة هو من باب تقديم الوسائل بين يدي المطالب ومن باب تقديم حق المعبود على حظ العبد فإن (إياك نعبد) متعلق بألوهيته واسمه (الله)، وأن (إياك نستعين) متعلق بربوبيته وصفته (رب العالمين) فقدم (إياك نعبد) على (إياك نستعين) كما قدم اسم الله على الرب في أول السورة. وأن العبادة المطلقة تتضمن الاستعانة من غير عكس فكل عابد لله عبودية تامة مستعين به ولا ينعكس، وتقديم العبادة على الاستعانة له أسباب عديدة، وهي :

1. أن العبادة أصل والاستعانة فرع وجزء منها
2. أن العبادة طلب له تعالى والاستعانة طلب من الله تعالى
3. أن العبادة أصلها من مخلص والاستعانة في الأصل من مخلص ومن غير مخلص
4. أن العبادة حقه تعالى الذي أوجبه على العبد والاستعانة حق العبد في طلب العون على العبادة
5. أن العبادة شكر نعمته على عبده والله يحب أن يشكر والإعانة فعله بعبده وتوفيقه له، وكلما كان العبد أتم عبوديته كانت الإعانة من الله له أعظم[٢١].

اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

ذكر الله تعالى في الأية السابقة الألوهية (إياك نعبد) ثم انتقل إلى الربوبية (وإياك نستعين) ثم واصلها بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم (اهدنا الصراط المستقيم) بصفة الرحمة المتبثلة في الهداية والنعمة (الذين أنعمت عليهم) ثم قابلها بالغضب والضلال (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)، فقدم الله تعالى ذكر الاستعاذة من الغضب على الاستعاذة من الضلال، وهذا الترتيب هو الأنسب للأمور التالية [٢٢]:

[٢٠].عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني " **معارج التفكر ودقائق التدبر** " ، 1 / 28

[٢١].نفس المرجع

[٢٢]. انظر شاكر التميمي، http://www.startimes.com/?t=31173877، 12/09/2014

أ. أن الغضب مؤداه الانتقام المقابل للانعام (انتقام ↔ انعام)؛ فناسب أن يذكر الاستعاذة من الغضب عقب الاستعاذة من الضلال

بـ. أن العقوبة على الغضب أكثر من العقوبة على الضلال

جـ. أن أسباب الغضب من المعاصي والذنوب الواقعة بسبب فساد القصد والإرادة أكثر وقوعاً في الناس

د. أن المغضوب عليهم (اليهود) متقدمون بالزمان على الضالين (النصارى)، فقدم ذكر هؤلاء اليهود على هؤلاء النصارى.

هـ. أن اليهود هم كانوا يلون النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا جيرانه في المدينة، والنصارى كانت ديارهم نائية عنه، ولهذا تجد خطاب اليهود في القرآن الكريم أكثر من خطاب النصارى

و. أن اليهود أغلظ كفرا من النصارى فالتحذير من سبيل اليهود والبعد منها أحق وأهم.

ز. أن فيه تناسب الفاصلة (التسجيع) [٢٣]، لأن قوله "ولا الضالين" تمام السورة فناسب أواخر الآي، وفي الجدول الآتي ترتيب الفواصل والتسجيع في سورة الفاتحة باعتبار البسملة أية من آياتها :

رقم الأية	نص الأية	الفاصلة	أخر الفاصلة
الأولى	بسم الله الرحمن الرحيم	الرحيم	يْمْ
الثانية	الحمد لله رب العالمين	العالمين	يْنْ
الثالثة	الرحمن الرحيم	الرحيم	يْمْ
الرابعة	مالك يوم الدين	الدين	يْنْ
الخامسة	إياك نعبد وإياك نستعين	نستعين	يْنْ
السادسة	اهدنا الصراط المستقيم	المستقيم	يْمْ
السابعة	صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين	الضالين	يْنْ

ولو تأخر الغضب ومتعلقه لما ناسب أواخر الآي مما يسبب اختلاف فاصلة الأية الأخيرة عن الفواصل القرآنية في هذه السورة الكريمة ، لأن الأية الأخيرة بفرض تأخر الغضب ممتعلقه ستصير "غير الضالين والمغضوب عليهم" وفي مثل هذه الحالة لا يتحقق تناسب التسجيع .

وبهذه الدراسة عن منطقية الأسلوب التي اشتملت عليها سورة الفاتحة يتبين مدى روعتها وأنه ليس في متناول القدرة البشرية أن تأتي بمثلها.

[٢٣]. نفس المرجع

ثانيا. أسلوب القصر.

والقصر هو تخصيص شيئ بشيئ أخر بطريق من طرق القصر وهي العطف بلا والعطف ببل ولكن والنفي والاستثناء وبإنما وتقديم ما حقه التأخير[٢٤].

ومن الملامح البلاغية التي اشتملت عليها سورة الفاتحة القصر، وهذا ضرب من ضروب البلاغة. ومن بلاغة القصر أن القصر يتضمن النفي والإثبات في آن واحد فالعبارة إذا اشتملت على قصر فإنها صارت مؤكدة. ووجدنا من خلال آيات هذه السورة الكريمة نوعا واحدا من القصر وهو تقديم ما حقه التأخير،وفيما يلي توضيحه[٢٥]:

ففي قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) تقديم المفعول به عامله وذلك لإفادة الاختصاص يعني تخصيص العبادة والاستعانة لله وحده، فنقول في الإثبات: "نعبدك ونستعينك" وفي النفي نقول: "لا نعبد سواك ولا نستعين سواك" فأصبحت هذه الجملة قوية لأنها صارت مؤكدة فالجملة الواحدة (إياك نعبد وإياك نستعين) في قوة الجملتين، قال الدكتور عبد الرحيم الهبيل بلاغية أسلوب القصر: "أما التأكيد بإحدى طرق القصر فانه مركب من ثنائية متضادة على أقل تقدير، كما أن القصر لا يأتي في أول الكلام ابتداء، وإنما ردا على كلام سابق، يظهر فيه المخاطب موقفا مغايرا للمتكلم، فيأتي القصر ليجلي الحقيقة على نحو تدريجي يدحض موقف المخاطب، ويثبت في نفسه المعنى المراد"[٢٦].

ومن هذا القبيل ما اشتملت عليه البسملة من الملامح البلاغية (القصر)، وإليك توضيح ذلك[٢٧]:

إذا تأملنا في آية "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ" لاحظنا من خلالها أن الله تعالى قصر الابتداء والتبرك والاستعانة وجعلها خاصة له ولصفاته العالية وذلك على تقدير العامل في "بسم الله ....." فعلا متأخرا[٢٨]، وهذا العامل على حسب الأوضاع المناسبة فنقول في التقدير مثلا: "بسم الله الرحمن الرحيم أكتب – بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أقرأ ..... وما إلى ذلك. وهذا من قبيل تقديم ما حقه التأخير الذي يفيد القصر والاختصاص.

---

[٢٤]. باوي طبانة الدكتور، "معجم البلاغة"، دار العلوم، 1982، 702/1

[٢٥]. مجلة الجامعة الإسلامية سلسلة الدراسات الإنسانية المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، يونيو2011 - ISSN 1726-6807 - http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/ - " **تجليات الجمال في أسلوب القصر**" – عبد الرحيم محمد الهبيل ، الدكتور، ص: 956 – وانظر أحمد غزالى ، الماجستير ، " **البلاغة العربية** " الجامعة الإسلامية الحكومية باميكاسن ، ص : 30

[٢٦]. مجلة الجامعة الإسلامية سلسلة الدراسات الإنسانية المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، يونيو2011 ، ص : 975 ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

[٢٧]. المرجع السابق، " **أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة** " ، ص : 141

[٢٨]. أبو الحسن بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن شيخ الإسلام، " **التفسير البكري** "، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 30/1

ثالثا. الإيجاز.

الإيجاز هو إدراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل[٢٩]، وينقسم إلى إيجاز قصر وإيجاز حذف[٣٠]. ونجد في خلال آيات سورة الفاتحة إيجاز حذف كما في التوضيح الآتي:

فإن عبارة البسملة موجزة لأن فيها حذف متعلق الجار والمجرور (بسم) فقرئت البسملة لبدء كل أمر ذي بال بها ويقد لكل أمر ما يناسبه، وكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى، كما تقول في الصلاة الله أكبر، ومعناه أي من كل شيء، ولكن يحذف ليكون اللفظ في اللسان مطابقا لمقصود القلب، وهو أن لا يكون في القلب ذكر إلا الله عز وجل . وفي قوله: " أنعمت عليهم.." حذف أيضا والتقدير أي: أنعمت عليهم بكذ وكذا ،فلم يقيد الإنعام ليعم جميع المنعم به لأن النعم لا تحصى قال تعالى: "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار"[٣١] .

كما نجد كذلك النوع الثاني من الإيجاز وهو إيجاز قصر قال الدكتور صالح بن مُحَمَّد آل أبوبكر الزهراني [٣٢]" والسورة تتميز من أولها إلى آخرها بسمة بلاغية كبرى تسمى في البلاغة العبية إيجاز القصر بحيث إن كلماتها على معان كثيرة لا يمكن الإحاطة بها ". ومما يشير إلى ذلك أن قوله (الحمد لله رب العالمين) يدل على أن نعم الله لا تحصى لأن الحمد إنما يكون على النعم ونعمه تعالى خارجة عن التحديد والإحصاء حيث قال الله تعالى: " وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها "[٣٣]

رابعا. المذهب الكلامي .

حيث إن الله تعالى أحسن في اختيار الصفتين من بين صفاته العليا وهما صفتا الرحمن والرحيم لمزية فيهما فكلاهما مناسبتان لموضوع التسمية المتضمن الالتصاق والاستعانة بالله تبارك وتعالى، فذكر صفتي الرحمن الرحيم يتضمن التعريض بالمقتضى الذي دفع المؤمن للاستعانة بالله وحده إذ في العبارة إجمال وإيجاز، فكأننا نقول: " لا أبتدئ مستعينا إلا بالله لأنه هو الرحمن الرحيم ". فهنا سوق للمعنى مقترنا بدليله، وهذا يسمى عند البلاغيين المذهب الكلامي[٣٤].

خامسا. الالتفات[٣٥].

الالتفات ضرب من ضروب البلاغة ولو جرى الكلام على الأصل لقال الله تعالى: "إيّاه نعبد" فعدل عن ضمير الغائب إلى المخاطب لنكتة الالتفات [٣٦]، ومثله قوله تعالى: "وَسَقَاهُمْ

---

[٢٩]. بدوي طبانة الدكتور، " **معجم البلاغة** "، دار العلوم، 1982 ، 1 / 902

[٣٠]. علي الجارم " **البلاغة الواضحة** " ، ترتيب علي بن بانيف الشجود ، ص : 210

[٣١]. إبراهيم : 34

[٣٢]. المرجع السابق ، "**أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة** "، ص : 139

[٣٣]. إبراهيم : 37

[٣٤]. بداوي طبانة ، الدكتور، " **معجم البلاغة** " ، 1 / 284

[٣٥]. حسن طبل الدكتور ، " **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنبية** "، دار الفكر 1998، ص : 478

[٣٦]. المرجع السابق – صالح بن مُحَمَّد آل أبوبكر الزهراني ، الدكتور، ص : 155

رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً "[٣٧] ثم قال " إِنَّ هذا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً"[٣٨]. ونظير هذا أن تذكر شخصاً متصفاً بأوصاف جليلة، مخبراً عنه إخبار الغائب، ويكون ذلك الشخص حاضراً معك، فتقول له: إيّاك أقصد، فيكون في هذا الخطاب من التلطف على بلوغ المقصود ما لا يكون في لفظ إيّاه.

وفي قوله (إياك نعبد .....) عدل عن ضمير الغائب إلى الخطاب فقال (إياك...) بعد (الحمد لله..)، ولم يقل (الحمد لك)، لأن الحمد دون العبادة في المرتبة، ألا ترى تحمد الآخرين ولا تعبدهم، فلما كانت الحال بهذه المنزلة عدل عن الغيبة إلى الخطاب.من استعان بغير الله ذل، فلا عبادة إلا لله، ولا عون إلا من الله، ولا نصر إلا من الله، هذا باختصار المعنى الذي تدل عليه هذه الآية . وهو حقيقة التوحيد وجوهره.

وفي قوله (إياك نعبد..) عدل والتفات عن (أعبد) فالفاعل في (نعبد) هو ضمير جماعة المتكلمين والقارئ واحد؛ وذلك لأمور[٣٩] :

أ. أن المراد : أعبدك أنا ومن يعبدك من أخواني المؤمنين ممن تقدمت عبادته أو ستأتي؛ ففيه مزيد من التعظيم لله تعالى.

ب. في هذا التعبير تواضع من العبد وذل واعتراف بالتقصير؛ فهو يرى أنه ليس أهلاً لعبادة الله ويرى عبادته قاصرة ضعيفة فيتكثر بعبادة إخوانه من المؤمنين.

ج. فالصواب أن يقال: هذا مطابق لقوله (إياك نعبد وإياك نستعين)؛ والإتيان بضمير الجمع في الموضعين أحسن وأفخم فإن المقام مقام عبودية وافتقار إلى الرب تعالى وإقرار بالفاقة إلى عبوديته واستعانته وهدايته فأتى به بصيغة ضمير الجمع أي نحن معاشر عبيدك مقرون لك بالعبودية.

وهذا كما يقول العبد للملك المعظم شأنه نحن عبيدك ومماليكك وتحت طاعتك ولا نخالف أمرك فيكون هذا أحسن وأعظم موقعا عند الملك من أن يقول: أنا عبدك ومملوكك ولهذا لو قال: أنا وحدي مملوكك استدعى مقته؛ فإذا قال: أنا وكل من في البلد مماليكك وعبيدك وجند لك كان أعظم وأفخم لأن ذلك يتضمن أن عبيدك كثير جدا وأنا واحد منهم وكلنا مشتركون في عبوديتك والاستعانة بك وطلب الهداية منك فقد تضمن ذلك من الثناء على الرب بسعة مجده وكثرة عبيده وكثرة سائليه الهداية ما لا يتضمنه لفظ الإفراد فتأمله.

وإذا تأملت أدعية القرآن رأيت عامتها على هذا النمط نحو ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ونحو دعاء آخر البقرة وآخر آل عمران وأولها وهو أكثر أدعية القرآن الكريم.

سادسا. الاستعارة التصريحية

قد عرفت العرب أسلوب الاستعارة ثم أقر بها القرآن واستعملها من خلال آياته لأن فيها

[٣٧]. الإنسان : 21
[٣٨]. الإنسان : 19 – 20
[٣٩]. المرجع السابق مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، 1/ 20

بلاغة وما أحسن كلام الإمام عبد القاهر الجرجاني حين قال "ومن الفضيلة الجامعة فيها أنّها تبرز البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا، وإنّك لَتجد اللفظة الواحدة قد اكتست فيه فوائد، حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كلّ واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد وفضيلة مرموقة "[٤٠].

ووجدنا في سورة الفاتحة استعارة تصريحية وعرفها العلماء بأنها ما صرح فيها بلفظ المشبه به[٤١]، وذلك في قوله تعالى: "اهدنا الصراط" قد شبه الدين الإسلامي بالصراط المستقيم بجامع عدم الانحراف والاعوجاج في كل، ثم حذف المشبه (الدين الإسلامي) وصرح بالمشبه به (الصراط المستقيم). وانطلاقا مما قاله الإمام عبد القاهر السابق أن بلاغة الاستعارة التصريحية في هذه الأية أن الله تعالى أظهر دين الإسلام في صورة مجسدة وهي صورة الطريق المستقيم كما أن فيها نساسي التشبيه فأصبح الكلام بليغا بحذف المشبه وهو دين الإسلام.

سابعا. الدلالية السياقية .

من الملامح البلاغية في سورة الفاتحة الدلالة السياقية فيها وهي كالتالي[٤٢]:

1) الدلالة السياقية في قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) أنها تدل على أن الله تعالى وحده يستحق جميع أنواع الحمد والثناء من الخلق، لأنه خالقهم ومربيهم ورازقهم وحافظهم وسيدهم انظر إلى الترابط الدلالي بين النتيجة والسبب. النتيجة: الحمدُ لله ، والسبب: رَبِّ العالمين، فكأنَّ قوله تعالى (رب العالمين) جاء جواباً لمن سأل: لماذا الحمدُ لله؟ أي لماذا جعلتم كل أنواع الحمد لله؟ فأُجِيْبَ: لأنه رب العالمين— وليس هناك أحد من المخلوقين يستحق جميع أنواع الحمد غيره تعالى؟. ما أجمل قول شاكر التميمي في هذا الصدد حين يقول: "ثم كرر صفتين (الرحمن الرحيم) توكيداً وتذكيراً بنعم الله على عباده وعلى مخلوقاته، والله خلق الخلق وهداهم رحمة بهم وأنعم عليهم رحمة، وحفظهم رحمة، ورزقهم رحمة، وأحياهم وأماتهم ثم يحييهم رحمة بهم، فكل أفعال الله هي رحمة بالعباد بل ورحمة لجميع المخلوقات عامة، ولهذا تكررت الصفتان مرتين في هذه السورة لتذكير العباد برحمته، وهذا تلطف وتحبب أيضاً من ربّ الأرباب لعباده. وليكونوا رُحماء بينهم، ورحماء بغيرهم من الإنسان والحيوان"[٤٣].

2) الدلالة السياقية في قوله تعالى: (مالك يوم الدين) الذي يملك مقاليد الأمور والتصرف في شؤون العباد يوم القيامة، وفقا لقوله تعالى

---

[٤٠]. عبد القاهر الجرجاني الإمام " أسرار البلاغة في علم البيان" ، ص : 32 ، 33

[٤١]. المرجع السابق، على الجارم " **البلاغة الواضحة**"، ص : 66

[٤٢].شاكر التميمي، http://www.startimes.com/?t=31173877 ، 12/09/2014

[٤٣]. نفس المرجع

(لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار). وليس معنى ذلك أن الله لم يكن مالكاً فصار بعد ذلك مالكاً، لا، فهذا القول كفر ولا يجوز في العقيدة، بل الله تعالى كان مالكاً والآن مالك وسيكون مالكاً[٤٤].

الخاتمة .

وبعد الدراسة عن الملامح البلاغية من خلال آيات سورة الفاتحة لا يبقى للكاتب إلا تلخيص موضوع الدراسة كما في النقاط الآتية:

1) أن سورة الفاتحة هي سورة عظيمة فأثنى عليها صاحب الشريعة (الله ورسوله) ثناء عظيما.
2) أن الملامح البلاغية في سورة الفاتحة من منطقية أسلوبها والصور البيانية فيها والدلالة السياقية فيها تلعب دورا بليغا لرفع شأنها وعظمتها ولتحيقيق إعجازها مما جعل المخلوقين عاجزين على أن يأتوا بمثل هذه السورة رغم إيجارها وقصرها وقلة عدد أياتها، مصداقا للتحدي الإلهي القرآني الخالد " وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ".

المراجع والمصادر :

أبو الحسن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن شيخ الإسلام، " **التفسير البكري** "، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان

أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري الإمام، دار المعرفة، بيروت لبنان

بدوي طبانة الدكتور، "**معجم البلاغة**"، دار العلوم، 1982

شاكر التميمي http://www.startimes.com/?t=31112/09/2014 - 73877

صالح بن مُحَمَّد آل أبوبكر الزهراني الدكتور، مجلة الدراسات القرآنية، العدد الرابع السنة الثانية "**أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة** " http://jqrs.qurancomplex.gov.sa/?p=274

عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني " **معارج التفكر ودقائق التدبر**"

علي الجارم " **البلاغة الواضحة** "، ترتيب علي بن بانيف الشجود

عبد القاهر الجرجاني الإمام " **أسرار البلاغة في علم البيان**"

مجلة الجامعة الإسلامية سلسلة الدراسات الإنسانية المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، يونيو 2011 ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

مُحَمَّد بن علوي المالكي الحسني السيد، **"القواعد الأساسية في علوم القرآن"**.

مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، " **صحيح البخاري**"، دار طوق النجاة

معجم ألفاظ القرآن

[٤٤]. نفس المرجع